

تَحَوُّلَاتُ الثَّقَاحِ الذَّهَبِيِّ

أَثْمَرَتْ مِنْ حُدُودِ الْمُحِيطِ إِلَى النَّهْرِ كُلُّ الْحُقُولِ
فَارْتَفَعَتْ لُغَةٌ، وَلُغَاتٌ تَرُودُ
جَبِينًا أَرْهَرَتْ لَمْ تَكُنْ لُغَةٌ الْبَيْعِ وَالْغَبْنِ قَدْ بَدَأَتْ
لَمْ تَكُنْ كَلِمَاتُ السَّمَاوِيَّةِ ارْتَفَعَتْ
إِنَّمَا عَبَّرَتْ لُغَةٌ هِيَ بَيْنَ الْغِنَاءِ وَبَيْنَ الدُّهُولِ..

وَصَلُّوا، لَيْسَ لِلْوَنِ لَوْنٌ، وَلَا لِلْعَبِيرِ عَبِيرٌ!
هَلِ النَّهْرُ أَحْضَرُ، هَلِ نَزَلَ التَّلْجُ فِي قِمَمِ الْعَرَبِ، هَلِ هَبَّتِ الرِّيحُ؟
لَيْسَ يَهُمُّ السَّمَاوِيَّةَ الْعَابِرِينَ!

عابنوها، أما انخسفت من حسابهمو؟
سكتوا، وتكلمت اللغة العالية النبر:
هذا لكم وعليكم، وهذا لنا وعلينا،
سكتنا، وما تتكلم أيامنا أو تقول!

(من يد ليد تنتنقل هذي الحقول: ترابا، هواء، وماء
وما بين لص قديم ولص جديد تحول تفاحها الذهبي،
فهل كان ذلكموا قدرا وقضاء؟)

أبحرت بالحقول السفين
إلى أين؟ ليس تجيب العيون
قلو أن هذي الحقول تقول: كلوا جسدي واشربوني دماء،
لما كان حقا ...
ولو أنها دون أهل - ينامون أو يجهلون -
لما كان حقا ...

(هي الشجر المستباح لمن يعبرون
هي الثمر المستحيل لمن يزرعون)

وما كان حقا، وقد نزلت - في الموائئ أو في الموائد -
فوق رجال رأوها رأوا راية الوطن المستحيل عليها، بكوا..
إنها إنهم: Exporté du Maroc

الكنوني، محمد الخمار
رماد هسبريس
الطبعة الثانية، 2001
دار توبقال للنشر، الدار البيضاء